فلسطين بين وعد لله ووعد بلفور

مقدمة

تمثال ابن رشد في قرطبة

لم يكن "رمبم" ساذجاً حين رضي بأن يكون طبيباً لصلاح الدين في فترة ذروة الاضطهاد النصراني لليهود والمسلمين في بلاد الأندلس، فلم يكن هذا الحاخام والفيلسوف والمفكر والطبيب اليهودي الذي تتلمذ على يد الفلاسفة والمفكرين المسلمين والذي كان أبرزهم "ابن رشد" رائد وباعث النهضة الأوروبية الغربية الحديثة، هذا اليهودي المدعو موسى بن ميمون "رمبم" لم يكن ساذجاً حين تقرب من صلاح الدين وجلب بدايات طلائع اليهود المضطهدين من اسبانيا إلى فلسطين، كان ينظر من بعيدٍ إلى بعيدٍ ليعيد مجد أجداده رغم علمه اليقين بأن الإسلام كان الدين الوريث للوحدانية، لكن غروره وكبريائه وعناده أبقاه في حالة الانحراف والإصرار على الباطل بإقامة دولة الكيان المسماة "إسرائيل" المعاصرة.

ففي نظر اليهود المعاصرين هذا الحاخام هو أحد أبطال إسرائيل العظماء، فإلى اليوم يُعتمد ويُدرس كتابه "المشنيه" في المعاهد الدينية اليهودية، وهو الذي أنقذ يهود اليمن من الفناء حين تآمروا على السلطة في اليمن فاستغل قربه من صلاح الدين وكان سببا رئيسياً في حمايتهم وكان في نظر بعض العلماء المسلمين الذين عاصروه كأحد علماء الإسلام، وحتى الآن له نصب تذكار كتمثال في مدينة غرناطة بأسبانيا...

ولم تكن إسرائيل وليدة مؤتمر بازل بسويسرا عام 1897 ولم تكن وليدة وعد بلفور عام 1917 ولم تكن حرب الأيام الستة في يونيو من عام 1967 في ستة أيام بل هي حرب القرون الستة فقد كانت تلك الستة أيام السوداء في صيف يونيو 67 والتي استولت فيها إسرائيل على الضفة الغربية بما فيها القدس وعلى قطاع غزة وصحراء سيناء بالكامل مع الضفة الشرقية لقناة السويس وكذلك هضبة الجولان السورية، فقد كانت هذه الأيام الستة وليدة إعداد وجهد وإصرار وحرب طويلة لأكثر من 6 قرون إلى أن تم قطف الثمرة بسهولة في ستة أيام في الخامس من يونيو "حزيران" الأسود عام 1967.

تمثال موسى بن ميمون في قرطبة

وقد سبق موسى بن ميمون ولحقه كثيرا من الرموز، الذين ساهموا ووضع كل واحد منهم لبنة في بناء هذا الكيان، فقد انتشر شعوراً جمعياً طوال العصور الفائتة عند اليهود بالحنين والرجوع إلى الأرض المقدسة والبناء بها وإعادة بناء الهيكل وكان اليهودي عندما يلتقي بالآخر يقول له غداً ألقاك في " أورشليم".

وكان شعارهم السائد "تنساني يميني إن نسيتك يا أورشليم" إلى أن جاءت عائلة برنابولي اليهودية التي أطلق عليها المؤرخون بأنها تمثل عائلة روتشيلد في العصور الوسطى والتي لعبت دوراً أساسيا في جعل اليهود يمتطون صهوة الحضارة الغربية الأوروبية متزعمين سواء من خلال الاستعمار البريطاني أو الفرنسي أو البلغاري أو الهولندي الخ...

الفصل الأول: الجذور التاريخية للعداء بين اليهود والنصارى

وكلنا نعرف مدى العداء التاريخي الذي كان يُكنه المسيحيون لليهود على مدار التاريخ كيف لا وهم الذين أَلَّبُوا الوالي الروماني على قتل المسيح، والذي طردهم من فلسطين هم الرومان، والذي تزعم إمبراطورهم قسطنطين ووالدته الملكة هيلانا راية المسيح، حتى عندما جاء عمر بن الخطاب الخليفة المسلم وفتح بيت المقدس كان من شروط تسليم المدينة التي اشترطها "صفرنيوس" الحاكم الروماني لمدينة القدس، اشترط على الخليفة عمر بأن لا يساكنها أي يهودي " ضمن شروط تسليم مدينة بيت المقدس أن لا يُسكِن عُمَر أي يهودي داخل الأرض المقدسة مما يدل على مدى العداء المستفحل بين المسيحية واليهود.

فعندما انتصر الرومان الذين كانوا يتزعمون راية المسيح على الفرس وكانت اليهود تحالف الفرس كان المسيحيون يلقون بالقمامة على المكان المقدس لليهود عند الصخرة المشرفة التي كان اليهود يعتبرها معبداً لهم، فقد خجل صفرنيوس بأن يدل الخليفة عمر بن الخطاب على مكان المعبد عندما قال له عمر دلني على مكان المعبد فدله على مكان آخر لأن النصارى يلقون القمامة فوق الصخرة مكان المعبد اليهودي القديم انتقاماً من اليهود حلفاء الفرس أعداء النصارى.

وكان اليهودي كعب الأحبار الذي أسلم وجاء مع جيش الخليفة الذي فتح بيت المقدس قال للخليفة عمر: ليس هذا مكان المعبد الذي دلك عليه صفرنيوس فرجع عمر إلى صفرنيوس وأمسك به وقال له مرة ثانية دلني على مكان المعبد ثم دله على مكان الصخرة المشرفة وكانت مغطاة بالقمامة فصار عمر بنفسه ومعه الصحابة يزيلون القمامة عن الصخرة المشرفة وصلى عمر هو والمسلمين.

ففي هذا المكان عرج بالنبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام إلى السماء وفي هذا المكان صلى محمد الرسول الأعظم بالأنبياء جميعاً، وفي هذا المكان أُسري بالنبي الكريم من مكة إلى بيت المقدس، ولقد استحق هؤلاء المسلمون البواسل أخذ الراية "راية الدين الواحد" – "راية التوحيد" لنشرها للبشرية جمعاء بعد أن حرفها اليهود وحرفوا التوراة واضطهدوا نبيهم عيسى عليه السلام وأَلَّبُوا الحاكم الروماني عليه وعلى أصحابه الحواريين.

وبعد ذلك بقي الصراع مستفحلاً بين النصارى وبين اليهود حتى عام 1300 ميلادي فقد كانت بريطانيا تفتخر بأن طردت آخر يهودي من أراضيها ثم تلتها فرنسا عام 1305.

الفصل الثاني: بداية التحول من حالة العداء إلى حالة التَسَيُّد على النصارى

على مدار التاريخ القديم وفي العصور الوسطى كان الصراع مستفحلا بين النصارى واليهود فما الذي حدث بعد ذلك؟ وما هذا التزاوج والتحالف المتين بين اليهود الصهاينة وأوروبا المسيحية بطوائفها المختلفة الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية؟ وكيف استطاع اليهود حل الخلاف بينهم وبين النصارى؟ لا بل وأصبحوا هم على رأس الحضارة الغربية وسادة الأمم الأوروبية، وهم الذين يسودون ويقولون عند الأوروبيين الذين حكموا العالم لقرونٍ طويلةٍ تحت لواء الإستعمار الأوروبي للعالم..

ولقد كان اليهود آمنين يعيشون بكل حريةٍ ورغدٍ في ربوع بلاد الأندلس تحت حكم المسلمين وفي شتى ربوع ديار المسلمين، ويتمتعون بكامل الحرية في أداء أعمالهم الدينية والمدنية ولكن حينما ضعف المسلمون في الأندلس، واستطاع النصارى التغلب على المسلمين تم اضطهاد المسلمين واليهود في أسبانيا على حدٍ سواءٍ ووضعت الملكة إيزابيلا ثلاث خيارات أمام المسلمين واليهود: وهي إما القتل أو الإبعاد أو اعتناق الدين المسيحي فمنهم من هاجر جنوباً إلى بلاد المغرب العربي وكثير منهم تعرض للقتل والأسر والتعذيب في محاكم التفتيش وبقي بعض المسلمين الذين أخفوا إسلامهم فسموا بـ "الموريسكيين" أما اليهود الذين أخفوا ديانتهم وتنصروا فسموا بال "المارونوس".

ومن هنا كانت أهم نقطة في التحول بالعلاقة بين النصارى واليهود فاليهود الذين تنصروا وأخفوا يهوديتهم أصبحت لهم حرية حركة كبيرة لا سيما في شتى الدول الأوروبية ولا سيما في إيطاليا حيث مقر الفاتيكان ودخلوا وتدخلوا في السلك الكنسي وبرزت أسرة هامة ومهمة يهودية الأصل اعتنق أفرادها النصرانية وتدرجت في السلك الكنسي بـ روما بالفاتيكان

وهي أسرة "برنابولي" إلى أن وصل بعض أفردها إلى رأس الفاتيكان فمنهم برز باباوات وكان البابا في ذلك الزمن هو الحاكم الفعلي للبلاد فصار منهم كثير من المتنفذين داخل الكنيسة والحكومة وهم الذين قادوا الحملات الصليبية على المسلمين

وهم الذين فرضوا صكوك الغفران والضرائب الباهظة والظلم على المواطنين المسيحين، وكل ذلك باسم الدين المسيحي إلى أن ضجت الناس من الدين المسيحي فثار الناس على الكنيسة وكان اليهود من حرّض الناس على الثورة ضد الكيسة

واستغلوا مارتن لوثر في بداية الأمر هذا المفكر والقائد والملهم الألماني البارز فكان اليهود أبرز أنصاره في الثورة ضد الكنيسة حتى برزت طائفة شابة إصلاحية تحمل أفكار إصلاحية هامة تتبنى فكر إصلاحي للدين المسيحي أهمه تقليص نفوذ وهيمنة البابا على الفرد المسيحي وخاصة في تفسير الكتاب المقدس وأصبح الإيمان بالعهد القديم وتفسيره ليس مقصوراً على البابا الذي كان يقوم بتفسيره بصورة رمزية للمؤمنين، ولكنه اليوم صار الإيمان بالعهد القديم وتفسيره أصبح متاحاً لجميع المؤمنين المسيحيين

فآمن المسيحيون واعتنقوا فكرة أحقية اليهود بالأرض المقدسة كما جاءت بالعهد القديم في الكتاب المقدس من خلال توليد معتقد جديد وهو "ان اليهود لن يخلَصُوا" أي يؤمنوا بالمسيحية ، إلا في نهاية الأيام ، وسيأتي زمن يؤمن فيه اليهود بالمسيح ، ثم تطورت هذه التفسيرات ورَبطت هذا الايمان والخلاص (أي الإيمان بالمسيح) بوجود اليهود في فلسطين في نهاية الزمان، مع مجيء المسيح الثاني أو قبل مجيء المسيح الثاني .

وبهذا تم تضليل جموع المسيحيين وتمت أكبر عملية تضليل في التاريخ وهي تضليل جموع المسيحيين بفكرة أحقية اليهود بالأرض المقدسة.

الفصل الثالث: ثمار التزاوج بين اليهودية والنصرانية وتأثيره على العالم عامة وعلى فلسطين خاصة:

وكان هؤلاء الإصلاحيون هم أبرز من تبنى هذه الفكرة فبرز المذهب "البروتستانتي" واعتبروا أنفسهم مذهباً ثالثاً مجبورين بالتساوق مع الأفكار اليهودية وبدأوا ببناء الكنائس الجديدة والتي تداخلت فيها رموز ونقوش الأفكار اليهودية الماسونية داخل وفي أعماق الكنائس الجديدة فقد ترى نقوش للنجمة السداسية ورموز ماسونية أخرى تتواجد داخل الكنائس الجديدة والتي تم تسميتها بالكنائس البروتستانتية فكما أن اليهود هم الذين استخدموا وشوهوا الدين المسيحي عندما ترأسوا الكنيسة، بقسوتهم واضطهادهم للمسيحيين باسم الكنيسة كذلك فهم الذين تسيدوا وكانوا قادة الثورة ضد الكنيسة وكانوا أسياد الثورة واستطاعوا أن يستخدموا جموع الأوروبيون في السيطرة واستغلال الشعوب في شتى أنحاء العالم.

فقاموا بأكبر عملية نهب في التاريخ لثروات الشعوب المستضعفة في شتى أنحاء الدول العربية أو جنوب شرق آسيا وفي إفريقيا تحت ستار الاستعمار الأوروبي فكانوا سادة أسياد البلاد التي استعمرت بلاد العالم.

هم الذين مولوا أسطول نابليون الفرنسي لغزو المشرق العربي لتحقيق حلم الدولة الصهيونية وجلب اليهود لفلسطين، فحين فشل نابليون هم الذين أسقطوه بل سجنوه وأبعدوه في المنفى، واستبدلوه بالغزو البريطاني حتى أصبحت بريطانيا.

الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس محاولة إرضاء أسيادها اليهود لتحقيق حلمهم بإقامة الدولة الصهيونية فقد جاؤوا ممتطيين صهوة أحدث الطائرات البريطانية وممتطيين ظهر ملكة بريطانيا والضباط الإنجليز والأمراء عند دخولهم لفلسطين

فعندما دخول روخبوت لم يدخلها الإنجليز أولاً بل دخلها وايزمان و روتشيلد قبل أن يدخل اللنبي مدينة القدس ولم يستطع الانجليز إعطاء اليهود وعد بتحقيق حلمهم إلا بعد ضمانهم سقوط تلة المنطار بحي الشجاعية بعد ثلاث معارك قاسية وخسائر فادحة في صفوف الإنجليز لما يقارب أكثر من عشرة آلاف جندي بريطاني قتيل حول تلة المنطار الحصينة في معركة غزة الأولى 26-3-1917 وفي معركة غزة الثانية 17-4-1917 ولم تسقط التلة إلا بعد استخدام الإنجليز القنابل المحرمة دولياً ولم تسقط إلا بعد خيانة بعض البدو لمحاصرة لتلة من الشمال وسقوطها في معركة غزة الثالثة والتي بدأت في 27-10-1917 وانتهت بسقوط غزة والجامع العمري الكبير في 9-11-1917 وخلال هذه المعركة عرف الإنجليز أنهم أطبقوا على غزة عندها استطاعوا وتمكنوا من الإعلان عن وعدهم المشؤوم للصهاينة اليهود ففي تاريخ 2-11-1917 صدر وعد بلفور، ومع هذا الإعلان تقريباً بشهر استولى الإنجليز على القدس وكان اللنبي يمشي في شوارع القدس تمهيداً لتسليمها لأسياده اليهود الذين تمكنوا منها في عام 1948 واحتلالها بالكامل عام 1967 إلى الآن.

مؤتمر بازل 1897

خلال مؤتمر بازل بسويسرا في 3-9-1897 تنبأ هرتزل أنه بعد 50 عام بأقصى تقدير ستقوم دولة إسرائيل وبالفعل في عام 1948 أعلن بن غوريون قيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة وحين تنبأ هرتزل بقيام دولة إسرائيل لم يكن الصهاينة في فلسطين سوى بضعة مئات وكانوا يتكدسون معظمهم في مدينة يافا، فلماذا نجح هرتزل في تنبأه وكذلك قول الرسول الأعظم في حديثه يوم الخندق عندما كان الرسول والصحابة يحفرون بالخندق حول المدينة ليحمون أنفسهم من هجمة فريش وأحلافها بشدّر الرسول عليه الصلاة والسلام بفتح فارس والروم فكان يضرب بالصخرة التي أعاقت الحفر قائلا فُتحت فارس ويضرب مرة ثانية قائلا فتحت القسطنطينية وفتحت صنعاء، فلا الرسول ولا هرتزل اعتمدوا على حسابات رقمية خاطئة فهذه الحسابات الخاطئة تؤدي الى طريقين إما التواكل والإنتظار أو التهور وبالتالي سوء العاقبة، فقد عكف الإخوان طوال أكثر من 40 عاماً وهم يتنبؤون بزوال دولة إسرائيل 2022 وكان يتزعمهم في هذه الرؤية الداعية بسام جرار، وعندما لم يحدث شيء عام 2022 قاموا بعمل متهور دون حساب للواقع المحيط وفي ظل وضع عالمي وإقليمي ووطني متردي مستغلين إيمان وبساطة وثورة بعض الشباب الملائكيين المخلصين الذين قيّدوهم وحاصروهم ضمن نظام الطاعة العمياء والذي أسموه نظام البيعة،

فأدخلوهم في معركة غير متوازنة وضمن واقع فلسطيني منقسم تماماً دون أن يكون معهم أي شرط من شروط الانتصار، فكانت النتيجة كما نراها آلاف من جنود النخبة استشهدوا وآلاف منهم تم أسرهم ولم يستطع المفاوض الحمساوي حتى أن يطالب بهم عدا أن يخرج أيا منهم، وتُركوا في الأسر وأكثر من 60% من أراضي قطاع غزة لا يستطيع أحد من السكان الوصول إليها حتى كتابة هذه السطور، وحوالي 200 ألف من سكان غزة أصيبوا منهم أكثر من 73 ألف شهيد من قطاع غزة وأكثر من 10 آلاف لبناني استشهد في هذه المعركة وأكثر من 2000 إيراني أيضاً وحوالي ألف شهيد يمني.

فحين كتب هرتزل كتابه الدولة اليهودية عام 1895 كان واثقاً تماماً بولادة الدولة اليهودية فكتب يقول: إنني على يقينٍ تامٍ بأنني على حقٍ، وإن كنت أشك فيما إذا كنت سأبقى حياً لأرى الأيام تبرهن على ذلك، أما أولئك الذين سيكونون أول من يفتتح هذه الحركة.

فمن النادر أن يبقوا على قيد الحياة ليشهدوا نهايتها العظيمة ولكن إفتتاحها في حد ذاته يكفي لمنحهم الشعور بالفخر والسعادة والتحرر الروحي.

الفصل الرابع: التخبط في مقاومة اليهود وعدم فهمها

وكان من نتائج ضعف الأمة بأن قسم المستعمرين بزعامة الصهاينة الأمة إلى دويلات صغيرة متناحرة وحددوا أسلاكاً شائكةٍ سياسيةٍ وكل مسؤول منهم مشغول بالمحافظة على دويلته ورسموا لكل دويلة علماً وحددوا الحدود في بلادنا العربية والإسلامية الواحدة.

وشرحوها كأن سكيناً تُقطع الجسد الواحد إلى قطع صغيرة من اللحم، وزّعَها الصهاينة على عبيدهم الأوروبيين ليتركوا أهل قطعة فلسطين وحدهم في مواجهة أسوأ وأمكر وأدهى وأخبث عدو عرفته البشرية، ورغم براعة وشجاعة وبسالة العرب و الفلسطينيين على مدار أكثر من 100 عام وجد الفلسطينيون أنفسهم في حالة عدم توازن، وكانت كل معركة مع اليهود، لم يخسرها الفلسطينيون فحسب، بل كانت اليهود تكسب مع المعركة الأرض، وينحسر الفلسطينيين ويتمدد الكيان اليهودي أكثر فأكثر، فكان تعاملنا مع الكيان الصهيوني كمن يريد بناء مبنى والمواد متوفرة ولكن المبنى لم يقوم، فلا نعرف كيف نمزج الإسمنت مع الحصمة، ولا نعرف كيف يوضع الحديد بالمكان الصحيح، ولا نعمل ضمن مخطط هندسي، وبالتالي فلن يقام المبنى بهذه الطريقة، رغم توفر مواد البناء وحتى توفر الإرادة للبناء، إلا إذا فهمنا كيف يتم البناء بالشكل الصحيح، فيرسم المهندس المخطط ثم يبدأ المقاول بحفر الأساسات والأحزمة والأعمدة ومن ثم السقف بشكل متسلسل وصحيح وعمال ذو خبرة ومهنيين وفنيين، وبالتالي سيقام المبنى بالشكل الصحيح.

الانتفاضة الاولى - 1987

لذلك فأول الطريق أن نفهم عدونا حتى نستطيع الإنتصار عليه، فلا يمكننا الانتصار عليه دون أن نفهمه.

بل حين وجد الكيان الصهيوني في أعقاب الانتفاضة الأولى نفسه معزولاً عن العالم ، ورأى العالم مشروعية الانتفاضة ، احترم المفاوض الفلسطيني ضعفه ، ورغم حالة الدكتاتورية التي كان يتمتع بها ياسر عرفات، وقّعَ اتفاقاً مرحلياً مع الكيان واضعاً نصب عينيه عودة بعض الفلسطينيين وتشبثه بأرضهم ضمن كينونةٍ سياسيةٍ معترفاً بها دولياً ظنّاً منه بأن يوقف حالة المد والتمدد للكيان الصهيوني ولكن العدو سرعان ما لبث أن فرض واقعاً على الأرض أسوأ مما كان عليه الحال حين التوقيع على الاتفاق المرحلي، فالمناطق الشاسعة الواسعة في الضفة الغربية التي تقع ضمن أراضي ما يسمى بالاتفاق "أراضي سي" حيث تقع حسب الاتفاق تحت السيطرة الأمنية للعدو الصهيوني معلقاً التفاوض عليها فيما بعد، فسرعان ما ضمها لمستوطناته في الضفة الغربية فأصبح ما يزيد عن 60% من أراضي الضفة مستوطنات إسرائيلية وجميعها كانت أراضي زراعية للفلسطينيين.

وما لبث العدو أن استخدم أسلوب آخر مع الفلسطينيين ألا وهو استغباؤهم بأن مهّد الطريق لأحدث حالة من الإنقسام الأسود، مستغلاً وجود عقلية قيادات حزبية عفنة تبحث عن مصالحها الشخصية والحزبية وأنا هنا لا أستثني أحدا فكل من قال عن نفسه بأنه قيادي فلسطيني مسؤول فهو يتحمل نتائج هذا الانقسام الكارثي الأسود الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه اليوم ألا وهي حالة الإبادة الجماعية نتيجة واقعة 7 - 10 الكارثية المتهورة والغير مسؤولة، ولا أريد أن أسهب إلى ما نحن فيه من انهيار وهزيمة

فمن لا يرى بعينيه الظاهرتين حالتنا المهزومة وهذا الانحسار الكبير في أراضينا الفلسطينية أو التمدد الكبير للعدو الصهيوني بسبب الانقسام فهو إما متآمر مع عدونا أو أنه لا يزال غبياً مغلباً مصلحته الشخصية والحزبية على مصلحة الناس ولا يريد أن يشخص الواقع بشكله الصحيح حتى يضع علاجاً مناسباً فيعتبر الهزيمة نصراً فنحن وجدنا أنفسنا مع عدو ممتلك كل وسائل القوة مع إتقانه التام للاستضعاف والاستذلال أمام العالم ومع حزبٍ حاكمٍ لا يملك من القوة إلا بعض السلاح الخفيف الذي لا يصلح إلا لفضّ الخلاف بين القبائل إن صلُح مع حملهم نفسية الاستكبار والعنجهية والأنا والغرور فكيف تكون النتيجة ومن ينتصر؟!، فكانت النتيجة هذه الإبادة والدمار الواسع الشاسع للحجر والشجر في شتى أرجاء قطاع غزة، وبالطبع هذه الرؤية وهذا الاستغباء يستغله العدو ويحافظ على هذه الحالة عمدا للفلسطينيين بالمحافظة والبقاء على إتّباع هذه الرؤية وهذا التوصيف ينطبق تماما على قادة حماس الذين يشخصون الواقع على عكس ما نحن فيه تماماً من هزيمةٍ ويحولونها إلى نصرٍ ومن ثم لا يستطيعون إيجاد الحلول المناسبة للخلاص، ووضع الناس على طريق الخلاص مما نحن فيه، وتتحمل مجمل الفصائل الفلسطينية المسؤولية لا سيما حركة الجهاد الإسلامي عن الانقسام الأسود المرير الذي أحدثوه في شعبنا إلى أن وصلنا لحالة الإبادة الجماعية الحالية.

فشل محاولات المصالحة الفلسطينية

فالجهاد الإسلامي تواطئ مع حماس و لم يكن محايداً نزيهاً لحل الخصومة بين فتح وحماس بل فهم أن حماس طرف مقاومة وهُم فصيل مقاوم دون إدراكه بأن جوهر المقاومة هو في وحدتنا كفلسطينيين، وبقى في موقع المحاباة لحماس إلى أن همشته حماس تماما حتى دون إشعاره أو إبلاغه في قرار 7 - أكتوبر المتهور وما انفك العدو الصهيوني مرتدياً الثوب الأمريكي يدعم طرف فلسطيني ضد طرف حتى أنه اعتبر الطرف الفلسطيني الرسمي طرفاً متشدداً ويجب إصلاحه لاستمرار المفاوضات مع العدو الصهيوني فنشأ تيار إصلاحي وجرف معه كثير من القيادات والشخصيات الشابة حتى أن نائب رئيس السلطة آنذاك محمود عباس أبو مازن كان مؤيداً لهذا التيار وكان صامتاً واستطاع هذا التيار السيطرة الفعلية على قطاع غزة بعد أن قام بتصفيات مأساوية للقادة

والمسؤولين في السلطة الرسمية وكان أبرزهم موسى عرفات مسؤول الاستخبارات في السلطة الفلسطينية، أحاط التيار الإصلاحي نفسه بهالة من البعبع مشكلاً فرق الموت وغيرها لإحكام السيطرة الأمنية على القطاع ومدعياً عداؤه الشرس للتيار الإسلامي الإخواني والتي كانت تتزعمه حماس ولكن العدو كان ينظر من علٍ لما يحدث وما سيحدث فكان كل ذلك تمهيداً للوصول لحالة الانقسام الأسود الذي نحن فيه عند ذلك أرادوا وبكل سهولة وصول التيار الإسلامي الإخواني للحكم في غزة وتقويته فكانت هناك إرادة صهيونية بثوب امريكي لإضعاف تيار السلطة في غزة الذي كان يتزعمه التيار الإصلاحي بقيادة الشاب محمد دحلان وقد علم أعضاء وقادة هذا التيار ان الإرادة الأمريكية لم تعد ترغب في بقائهم على رأس السلطة في غزة فاضطروا للهروب واللجوء الى مصر ورحيل قائدهم الشاب إلى ألمانيا بحجة العلاج عن طريق إسرائيل وتسليم القطاع تاركين أبناء وعناصر وعساكر التابعين للسلطة الفلسطينية في ثكناتهم العسكرية في مواجهة مأساوية مع عناصر التيار الإسلامي الإخواني المدعوم صهيونياً بعباءةٍ أمريكيةٍ وبغباءٍ إيراني لارتكاب جرائم ضد شباب في مقتبل العمر محققين رغبة العدو الصهيوني لإحداث الانقسام الأسود هذا العدو الذي كان يرتدي العباءة الامريكية وحتى القطرية لتقوية طرف على آخر وما المال القطري الذي كان يتدفق شهريا على غزة بمباركة تل ابيب إلا شاهداً على رغبة العدو في إبقاء وتقوية الحكم والحاكمين في غزة حتى تكون سلطة في غزة وسلطة في الضفة تمهيداً لتفتيت الفلسطينيين وإبادتهم، فكان نتنياهو رئيس وزراء العدو يردد ويقول لخصومه في الكنسيت من لا يريد إقامة دولة فلسطينية فليفهم لماذا أدعم غزة بالمال القطري.

فما نحن فيه اليوم بعد حادثة 7-10 المتهورة إلا نتاج هذا الانقسام الأسود وكان من الواجب والحكمة على حماس أن تغيب من المشهد من بداية العدوان على غزة فبدلاً من تفويت الفرصة على العدو حقناً لدماء أطفال ونساء ورجال شعبنا ومنعاً للانقسام آثرت حماس بقاء التنظيم والتمتع بالقيادة وآمال الحكم في المستقبل وتركوا شعبنا في غزة يواجه مصير الإبادة واعتبر التنظيم غاية وهدف لا أداة ووسيلة تتبدل وتتغير حسب الواقع لمصلحة الأهداف الكبرى وهي تحرير فلسطين والمسجد الأقصى المبارك.

الفصل الخامس: كيفية الخلاص

وأمام هذا الواقع ألا يجدر بنا ان نفكر قليلا ونستخدم سلاح العقل والفكر للخلاص فإذا أردنا استخلاص العبر من هذا العدوان فنحن أولاً كفلسطينيين من أهم استخلاص العبر هو :

1- وحدتنا كفلسطينيين حيث أن سلاح الوحدة هو جوهر المقاومة فالمقاومة دون وحدتنا كشعب هي سراب ووهم وكانت من نتائجه المريرة هذا الانقسام الأسود الذي كان من نتائجه ما نحن فيه من عدوان اليوم.

وحدة قائمة على قاعدة "عدم التخوين ورأيي خطأ يحتمل الصواب ورأيك صواب يحتمل الخطأ" حتى يكون لنا رأس واحد .

2 – وثاني استخلاص للعبر هو حماية جبهة المدنيين الأطفال والنساء والسكان فهذه خطوط حمر لا يجب تجاوزها .

3- وثالث استخلاص للعبر هو الدراسة المعمقة للعدو الصهيوني وفهم وتشخيص الحالة بالشكل السليم هو بداية الطريق لعلاج الحالة، فلا يمكن الانتصار على عدونا إلا إذا فهمناه بشكل صحيح ومما سبق فيجب علينا تحليل التاريخ واستخلاص عبر من ذلك التاريخ وأنه يجب تفكيك العلاقة ما بين الصهيونية المعاصرة والغرب المسيحي المعاصر فاليوم الغرب المسيحي بدء يدرك كذبة مظلومية اليهود بالمجازر اليومية التي يرتكبها هذا المحتل امام مرأى ومسمع من العالم كله.

ويجب قراءة العدو الصهيوني وفهمه بشكل اعمق مما نتصوره قراءةً أمنية مبصرة ليس في داخل الوطن المحتل فحسب بل في خارجه فيجب فهم خارطة النفوذ الصهيوني في العالم ومحاولة تخليص العالم من هذا الأخطبوط وهذا السرطان المتفشي في شتى منابع القرار في شتى أرجاء المعمورة.

ثيودور هرتزل -صاحب كتاب الدولة اليهودية

يقول هرتزل في خاتمة كتابه الدولة اليهودية : " سيتحرر العالم بتحررنا ويغنى بثروتنا ويعظم بعظمتنا وأياً ما حاولنا إحرازه هناك "يقصد إسرائيل" من أجل صالحنا فسوف يرتد بقوة وفائدة لخير الإنسانية"

لكني أقول له زرعك يا هرتزل لم يثمر للعالم إلا الشر والحروب والاستغلال ونشر الرذيلة والفساد في شتى ربوع العالم وما حادثة جزيرة إبستين المرتبطة بالموساد الإسرائيلي ببعيد، وأحفادك بدلاً من أن يغنى العالم بثروتهم نكبوا العالم ونشروا القتل والاحتكار والفساد والرذيلة واحتكروا لأنفسهم القنابل المحرمة دولياً واستخدموها في أماكن عديدة فسنة الله عز وجل تقتضي بأن هؤلاء الأشرار لم يعودوا صالحين لخير ومستقبل البشرية بل رسموا لأنفسهم ولدولتهم أن لا مستقبل لهم ولا لدولتهم فوعد الله آتٍ آتٍ لا محالة وسيتحرر العالم إن شاء الله من هيمنتهم وسينعم بإذنه تعالى العالم بالخير والبركة إن شاء الله واعلم يا هرتزل ان أحفادك قد اتبعوا عقيدة غير سوية ومحرفة قائمة على العنصرية المحضة وغير صالحة للبشرية وسيحمل مشعل الحرية للعالم والخير للبشرية هؤلاء الرجال الذين يحملون في صدورهم الخير والصلاح وشارتهم على صدورهم "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"،

وليس أكرمكم أن يكون عربياً أو فارسياً أو أعجمياً أو يهودياً الخ، بل أكرمكم أي أفضلكم عند الله أتقاكم أي أصلحكم لخير البشرية فيقول الله عز وجل في كتابه الكريم:" إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا" صدق الله العظيم

مختصر كتاب "الدولة اليهودية"

كتبه هرتزل وكان عمره تقريباً 35 سنة عام 1895

مقدمة المؤلف

إن فكرة استعادة الدولة اليهودية هي فكرة موغلة في القدم وإن الصيحات الصاخبة التي يرددها العالم ضد اليهود أيقظت الفكرة من سباتها.

إن هذه المحاولة لحل المشكلة اليهودية يمكن وصفها بكلمة واحدة "توليفة" ولكنها بالتأكيد ليست خيالية.

إن كل شيء يعتمد على قوتنا الدافعة: ولكن ما هي قوتنا الدافعة؟

أهي بؤس اليهود؟ فمن يجرؤ على إنكار وجوده؟

كلنا يألف ظاهرة البخار التي يولدها الماء الذي يغلي فيرتفع إلى غطاء الغلاية، هذه الظاهرة الخاصة بغلاية الشاي هي محاولات الصهاينة والجمعيات الصهيونية لكبح جماح العداء للسامية "بمعنى منع فنائهم"

إنني على يقينٍ تام أنني على حقٍ وإن كنت أشك فيما إذا كنت سأبقى حياً لأرى الأيام تبرهن على ذلك، أما أولئك الذين سيكونون أول من يفتتح هذه الحركة فمن النادر أن يبقوا على قيد الحياة ليشهدوا نهايتها العظيمة، ولكن افتتاحها في حد ذاته يكفي لمنحهم الشعور بالفخر والسعادة والتحرر الروحي.

إن الامر يتوقف على اليهود أنفسهم أن يبقى هذا الكتيب السياسي خيالاً سياسياً فإذا كان هذا الجيل أغبى من أن يفهمه على حقيقته فإن جيلاً قادماً أفضل وأكثر استنارةً سينهض ليفهمه.

إن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم وسوف يستحقونها.

الفصل الأول

إنني أعتقد أن المسألة اليهودية لم تعد مجرد مشكلة اجتماعية بقدر ما هي قضية دينية، ومع ذلك قد تتخذ أشكالاً أخرى، إنها قضية قومية يمكن حلها فقط عندما تعالج كقضية سياسية عالمية وتناقشها شعوب العالم المتحضر في مجلس دولي. إننا شعبٌ وشعبٌ واحد.

لقد حاولنا مخلصين في كل مكان أن نندمج في الحياة الاجتماعية للمجتمعات المحيطة بنا وأن نحافظ فقط على عقيدة آبائنا، ولكن لم يُسمح لنا بذلك، إننا وطنيون مخلصون ولقد ذهبنا بإخلاصنا إلى أقصى المدى ولكن بلا

فائدة، نضحي بأرواحنا وأموالنا كما يفعل غيرنا من المواطنين ولكن بلا فائدة، نكدح في سبيل رفعة شأن البلاد التي نعيش فيها في مجالات الفنون والعلوم والآداب وفي مجالات إثرائها عن طريق التجارة ولكن بلا فائدة.

ليس هناك غني أو قوي بالقدر الذي يستطيع أن ينقل أمة من بيئة لتستوطن بيئة أخرى,

الفكرة وحدها هي التي تستطيع ذلك هي فكرة "الدولة" فهي وحدها التي يمكن أن تحمل في طياتها القوة اللازمة لأن تفعل ذلك، لقد ظل اليهود يحلمون هذا الحلم الملكي خلال الليالي الطويلة من تاريخهم "العام القادم في القدس"، إنها عبارتنا القديمة.

المشكلة أن يتحول هذا الحلم إلى واقعٍ حي,

من أجل هذا لا بد أن تمحى من عقول الناس تماماً تلك الأفكار القديمة المتضخمة والمحدودة، فربما تتصور لبعض العقول البليدة أن هذا النزوح سيكون من مناطق متحضرة إلى الصحراء

والأمر ليس كذلك فسوف يتم النزوح في قلب الحضارة، فلن ننزل إلى مرحلة أقل بل سنرتفع إلى مرحلة أعلى، لا أن نعيش في أكواخٍ من الطين.. بل سنبني بيوتا جديدة أجمل وأحدث وسنمتلكها بسلام، ولن تضيع منا ممتلكاتنا بل سنحفظها، إننا سنتنازل عن حقوقنا المكتسبة لحقٍ من أجل حقوق أفضل، إننا لن نضحي بتقاليدنا المحببة بل سنجددها ثانية إننا لن نتخلى عن بيوتنا القديمة إلا بعد إعداد بيوت جديدة لنا، إن الذين سيرحلون هم أولئك الذين لديهم اليقين بأنهم سوف يحسنون أحوالهم، سيرحل في البداية المعدمون ثم الفقراء ثم الموفقون في أعمالهم وآخر الراحلين جميعاً هم الأثرياء، فأما الذين سيذهبون في البداية فسيرتفعون بأنفسهم [1] إلى درجة أعلى تساوي درجة اللذين سيتبعونهم بعد فترة قصيرة ومن ثم باب النزوح سيكون في نفس الوقت ارتفاع في سلم الطبقات.

إذا كنت أريد أن استبدل مبنى قديم بمبنى جديد فعلي أن أهدم قبل أن أبني ولذلك فسوف أحافظ على هذا التسلسل الطبيعي ففي الجزء الأول والعام من الكتيب سأشرح أفكاري وأزيل كل عوامل التحيز وأحدد الشروط الأساسية سياسياً واقتصادياً ثم أطور الخطة

إن ضمان نزاهة الفكرة وقوة تنفيذها ستتحقق من خلال إنشاء هيئة عامة سوف تسمى "جمعية اليهود" the society of jews

وإلى جانب هذه الجمعية ستوجد شركة يهودية وهي مؤسسة إنتاجية اقتصادية.

---

(1) اليهود يقولون عن المهاجرين اليهود الذين يأتون إلى إسرائيل عوليم (עולים) مرتفعون .

الفصل الثاني " المسألة اليهودية"

لا أحد يستطيع أن ينكر خطورة اليهود فحيثما يعيشون بأعداد ملحوظة تجد أنهم مضطهدون بشكلٍ أو بآخر ولقد أصبحت مساواتهم أمام القانون الذي مُنح لهم أمام التشريع حبراً على ورقٍ

في الواقع إن كل شيءٍ يتجه إلى خلاصة واحدة تعبر عنها بوضوح العبارة التقليدية في برلين "أيّه اليهود اخرجوا" .

والآن سوف أضع المشكلة اليهودية في أكثر الأشكال تأكيداً: هل سيصبح علينا الآن أن نرحل؟ وإذا كان الأمر كذلك فإلى أين؟

ام لا يزال علينا ان نبقى؟ واذا كان كذلك فلأي فترة من الزمن؟

أسباب العداء للسامية

إن العداء للسامية بين الشعوب[1] يتعاظم يوم بعد يوم وساعة بعد ساعة وهي حريه أن تتعاظم حقاً لأن أسباب نموها مستمرة في الوجود ولا يمكن إزالتها فسببها القديم هو فقداننا القدرة على الاندماج خلال العصور الوسطى، أما سببها الراهن فيرجع إلى ظهور أنصاف المثقفين بيننا بأعداد كبيرة وهؤلاء لا يجدون متنفساً أسفلهم أو من فوقهم، أعني أنهم لا يجدون متنفساً صحيحاً في أي اتجاه ونحن عندما نغرق نصبح بروليتاريا ثائرة من اتباع جميع الأحزاب الثورية، وفي نفس الوقت عندما نرتفع ترتفع معنا القوة الرهيبة للمال.

فلا يصح أن نتخذ رمحاً وحربةً ونَخرج أفراداً وراء الدببة بل ينبغي أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين فنسوق الحيوانات ونجمعهم معها في مكان واحد، ثم نقذف وسطهم قنبلة مدمرة.

وإذا أردنا أن نقوم بعمليات بناء فلن ننصب حشوداً والأعمدة والركائز على شاطئ بحيرة ولكننا سنبني كما يبني الناس الآن، بالتأكيد سوف نبني بأسلوب أجرأ وأكثر فخامة من أي أسلوبٍ بناه الناس من قبل فنحن الآن نمتلك وسائل لم يمتلكها السابقون، إن المهاجرين الذين يقفون في أسفل السلم الاقتصادي سوف يتبعهم ببطئٍ أولئك الذين هم أفضل منهم حالاً وهؤلاء الذين يعيشون الآن في بؤسٍ سوف يذهبون اولاً وسوف يليهم المتعلمون الذين نوفرهم بأعداد لا حصر لها والذين يضطهدون في كل مكان إن المعارضين يجب أن يتذكروا أن الولاء والمعارضة هما اختيار مطلق فالذي لا يريد أن يأتي معنا يمكنه أن يبقى حيث هو ، وعلى جميع اللذين يريدون أن ينضموا إلينا أن يصطفوا خلف أعلامنا وأن قضيتنا بالصوت والعلم والعمل .

---

(1) المقصود بالعداء للسامية هو اضطهاد الشعوب لليهود .

فلسطين أم الأرجنتين

هل نختار فلسطين أم الأرجنتين؟.

إننا سنأخذ ما يعطيه لنا وما يختاره الرأي العام اليهودي وسوف تقرر الجمعية كلا الأمرين.

إن الأرجنتين من أكثر بلاد العالم خصوبةً وهي تمتد على مساحاتٍ شاسعةٍ وعددٍ قليلٍ من السكان ومناخها معتدل وجمهورية الأرجنتين سوف تحصل على مكاسب كبيرة إذا تنازلت لنا عن قطعةٍ من أراضيها، ولعل التسلل الحالي لليهود قد أثمر بعض الاستياء ومن الضروري أن نوضح للجمهورية أن الحركة الجديدة تختلف اختلافاً جوهرياً .

أما فلسطين فإنها وطننا التاريخي الذي لا تُمحى ذكراه وإنّ اسم فلسطين في حد ذاته سيجذب شعبنا بقوةٍ ذات فعاليةٍ رائعة، فإذا منحنا جلالة السلطان فلسطين سنأخذ على عاتقنا بالمقابل تنظيم مالية تركيا وهناك سوف تشكل جزءاً من استحكامات أوروبا في مواجهة آسيا كموقعٍ أمامي للحضارة في مواجهة البربرية، وعلينا كدولة طبيعية أن نبقى على اتصالٍ بكل أوروبا التي سيكون من واجبها أن تضمن وجودنا.

إن ملاذات العالم المسيحي يجب صيانتها بتحديد مكانة إقليمية إضافية لها مما هو معروف في قانون الأمم.

وعلينا أن نشكل "حرس شرف" حول هذه الملاذات بغرض تحقيق هذا الواجب فيما يختص بوجودنا وسيكون حرس الشرف هذا هو الرمز العظيم لحل المشكلة اليهودية بعد 18 قرن من معاناة اليهود

الفصل الثالث: الشركة اليهودية

خطوط رئيسية

ستؤسس الشركة كشركة مساهمة خاضعة للقانون الإنجليزي وتحت حماية إنجلترا الشركة اليهودية مؤسسة ذات صفة مرحلية وهي مشروع تجاري كامل ويجب التمييز باهتمامٍ بينها وبين جمعية اليهود.

ولكن عليها بالدرجة الأولى أن تعتني بالمصالح الخاصة التي سيخلفها اليهود الراحلون وسوف تمنع الأساليب التي تتبعها حدوث الأزمات وتحافظ على ممتلكات الناس.

وفي نفس الوقت ستقوم الشركة ببيع العقارات واستبدالها، فالبيت الذي تأخذه سوف تقدم بدلاً منه في الدولة الجديدة، وأرضاً بدل الأرض في الدولة الجديدة فكل شيءٍ سينتقل إلى الأرض الجديدة ما أمكن ذلك وبنفس حالته التي كان عليها في الأرض القديمة، هذا النقل سوف يكون مصدراً لربح عظيم ومسلّماً به للشركة "هناك" ستكون البيوت الممنوحة على سبيل التبادل أحد وأجمل وستكون مجهزةً تجهيزاً مريحاً وستكون الضياع "هناك" أعلى قيمةً من تلك الضياع المهجورة ولكنها ستكلف الشركة أقل نسبياً لأن الشركة ستكون قد اشترت الأرض بأسعار رخيصة

إن الأرباح الهائلة الناتجة من المضاربة في الأرض ستذهب إلى الشركة التي من المفروض أن تستقبل هذه الأقساط اللانهائية مقابل تحملها لمخاطر المشروع فعندما ينطوي مشروع ما على مخاطرة فإن الفوائد سوف تمنح بسخاء لأولئك الذين تحملوا المخاطرة

ولكن لم يسمح بالفوائد تحت أي اعتبار، إن أخلاقيات المال تتألف من العلاقة المتبادلة بين الربح والمخاطرة.

ولكن المنازل سوف تبنى منفصلة بعضها عن بعض مزودة بحدائق صغيرة ولكنها سوف تتوحد في مجموعات جذابة في كل منطقة، إن التشكيل الطبيعي للأرض سوف يثير إبداع المعمارين الشباب الذين لم يطغى الروتين على أفكارهم بعد وحتى لو أن الناس لم يدركوا الفحوى الكلية للخطة فإنهم على أي حال سيشعرون بالارتياح في مجموعات منازلهم غير المتلاصقة وسوف يكون في استطاعتهم رؤية المعبد من مسافاتٍ طويلة فالمعبد هو عقيدتنا التليدة التي جمعتنا معاً.

وستكون السبع ساعات عمل دعوةً لاستجلاب شعبنا من أنحاء المعمورة ويجب أن يأتي الجميع مختارين فأرضنا هي أرض الميعاد سيرى العالم حينئذٍ أي شعب كادح نحن إن النساء لن يسمح لهن بالقيام بأي عمل شاقٍ ولا أن يعملوا وقتاً إضافياً.

وسوف تتحرر النساء الحوامل من جميع الأعمال وسوف يزودن بالأطعمة المغذية، فنحن نريد أن تكون أجيالنا القادمة قوية سواء من الرجال او النساء، وسوف نعلم الأطفال ما نريد منذ البداية، ولكني لن أدخل في تفاصيل ذلك أيضاً.

حتى الملابس الجديدة للمستوطنين الفقراء سيكون لها معنى رمزياً: إنك تدخل الآن حياة جديدة وسوف تعني جمعية اليهود قبل الرحيل بمدة طويلة وخلال الرحلة بخلق روح جادة وحافلة بالبهجة بواسطة الصلاة وتعليمات بخصوص هذه الحملة وتوجيهات تتعلق بالأمور الصحية في الأماكن الجديدة التي سيعيشون فيها وإرشادات تتعلق بأعمالهم المستقبلية لأن "أرض الميعاد" هي أرض العمل، وعند وصول المهاجرين سيرحب بهم بواسطة كبار موظفينا بالاحترام الواجب، ولكن بدون تهليل مضحك فإن "أرض الميعاد" لم تكون قد خضعت بعد إلا أن هؤلاء الفقراء يجب أن يشعروا أنهم في وطنهم.

الفصل الرابع: المجموعات المحلية

لقد بينت في الفصول السابقة كيف يمكن تنفيذ مشروع الهجرة دون إحداث خلل اقتصادي، إلا أن حركة كبرى كهذه لا يمكن أن تتم دون أن تثير كثيراً من المشاعر العميقة والقوية التي لا سبيل إلى تجنبها، فهناك تقاليد وذكريات قديمة قد تربطنا بأوطاننا ولدينا المهود كما لدينا القبور ونحن وحدنا نستطيع أن نفهم إلى أي مدى تتعلق قلوب اليهود بقبورهم..

أما بالنسبة لمهودنا فسنأخذها معنا، أنها تحمل مستقبلنا وهو مستقبل وردي باسم، أما قبورنا العزيزة فلا بد أن نتخلى عنها وفي اعتقادي أن هذا التخلي سوف يكلفنا نحن الشعب التوّاق إلى التملك أكثر من أي تضحية ولكن لا مفر من هذا.

كل مجموعة سيكون لها حاخامها يسافر مع رعيته، وسوف تتشكل المجموعات المحلية فيما بعد تشكيلاً تطوعياً حول حاخامها، وسوف يكون لكل مجموعةٍ محليةٍ قائدها الروحي.

أننا نستشعر صلاتنا التاريخية فحسب من خلال عقيدة آباؤنا وأننا منذ زمن طويل قد تشربنا لغات الأمم المختلفة لدرجة لا يمكن اقتلاعها، فسوف يتلقى الحاخامات أخباراً منتظمة من كل من الجمعية والشركة وسوف يعلنون عنها ويشرحونها لرعاياهم.

إن إسرائيل سوف تصلي لنا ولنفسها.

وأرى أنه لا ينبغي بيع المباني القديمة، وإنما تخصص على الأرجح لمساعدة المسيحيين الفقراء في المدن التي هجرها اليهود وفي مقابل ذلك ستتلقى المجموعات المحلية التعويضات عن طريق الحصول على أرض مجانية للبناء وعلى مساعدات لإعادة البناء في الدولة الجديدة:

إن الأشخاص الضعاف منا أولئك الذين أحبطت الضغوط الخارجية، وأفسدهم الإحسان من جانب أثريائنا ينهارون بسهولة حتى ينتهي بهم الامر إلى التسول، وستتولى الجمعية مدعمة بالمجموعات المحلية عناية أكبر إلى التعليم الشعبي فيما يتعلق بهذه النقطة.

ولن يكون هناك مكاناً للفقراء والمعدمين أما من يرفض أن يعمل أي شيءٍ كرجلٍ حرٍ فسوف يُرسل إلى الإصلاحية، من ناحية أخرى فإننا لن نحيل عجائزنا إلى الملاجئ فهذه الملاجئ من أقسى أنواع المؤسسات الخيرية التي اخترعها كرمنا الغبي حتى الآن فيها يموت عجائزنا عاراً وإذلالاً إنهم فيها مدفنون.

ستتزوج بنات الطبقة المتوسطة أولئك الرجال الطموحين وسيبعث أحدهم في طلب زوجته أو خطيبته للحاق به، وسيبعث آخر في طلب أبويه وإخوانه وأخواته وسيتزوج أبناء الحضارة الجديدة في سنٍ مبكرةٍ, وهذا من شأنه أن يرتقي بالأخلاق العامة ويضمن القوة في الجيل الجديد وهكذا لن يكون لدينا أبناءٌ ضعافٌ بسبب الزيجات المتأخرة أطفال من آباء أنهكتهم قوتهم بالصراع من أجل العيش حتى لو قادنا النقاش إلى نتيجةٍ إيجابية بأن الدولة اليهودية ضرورية في العالم، وحتى لو ساعدتنا القوى في الحصول على السيادة على قطعةٍ من الأرض فكيف يتسنى لنا أن ننقل جماهير اليهود دون إكراهٍ زائدٍ من أوطانهم الحالية إلى هذه الدولة الجديدة؟

إن هجرة اليهود مقصود بها بكل تأكيد أن تكون هجرةً طوعية.

سوف ألمح فقط إلى حج المحمديين إلى مكة، وإلى حج الكاثوليك إلى لوردز وإلى أماكن أخرى كثيرة يعود منها الناس وقد ملء الإيمان قلوبهم بالغبطة وإلى الصومعة المقدسة في تيريير.

وهكذا فإننا سوف نخلق مركزاً للحاجات الدينية العميقة لشعبنا وسيفهمنا حاخامتنا أولاً وسوف يكونون معنا في هذا السبيل، سوف ندع كل انسان يبحث عن خلاصه "هناك" بطريقته الخاصة، وفوق كل شيءٍ وقبله سنهيّء مكاناً للمجموعة الخالدة من مفكرينا الأحرار الذين يصنعون دائماً فتوحات جديدة للإنسانية.

لن نمارس القوة على أحدٍ إلا بالقدر الضروري الذي يحافظ على الدولة وعلى النظام، هذه القوة اللازمة لن يحددها عشوائياً سلطةً واحدة أو أكثر من تلك السلطات المتغيرة بل قررها قانون صارم.

عندما تبدء الحركة: " حركة الهجرة" سوف نجذب بعض الناس، وسندع آخرين يلحقون بنا، وآخرون سيجرفهم التيار وسيُقحم في النهاية آخرون إقحاماً، هؤلاء المستوطنون المترددون الذين يصلون في النهاية سيكونون أسوأ الجميع سواء "هنا" او "هناك" أما الأوائل

الذين سيذهبون إلى "هناك"[1] بعقيدةٍ وحماسٍ وشجاعة فسيحتلون أفضل المراكز.

(1) المقصود بكلمة (هناك) هي الأرض التي يسهاجر إليها اليهود .

الفصل الخامس:

جمعية اليهود للدولة اليهودية

إدارة العمل

يقول المفكر والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو : "إن الدولة تقوم بمقتضى عقد اجتماعي".

لكن قبل صياغة الدستور وأثناء خلق دولة جديدة، تفترض هذه المبادئ أهمية عملية كبيرة أننا نعلم ونرى أمامنا دولاً لا تزال مستمرة في النشوء ومستعمرات انشقت من الدولة الأم، أتباع ينفصلون عن حاكمهم الإقطاعي، أراضٍ تم فتحها حديثاً تشكل على الفور دولاً حرة، حقاً إن الدولة اليهودية يمكن تصور أنها تركيبة جديدة مميزة وعلى أرضٍ غير محددة إلا أن الدولة لا تشكل بواسطة قطع من الأرض ولكن بواسطة عدد من الناس متحدين تحت سلطة سيادية، الشعب هو الأساس الذاتي للدولة والأرض هي الأساس الموضوعي لها والأساس هو أهم الاثنين فعلى سبيل المثال هناك سلطة ليس لها أساس موضوعي على الإطلاق وهي على الأرجح الأكثر احتراماً في العالم وأنا أشير هنا إلى السلطة البابوية.

الانشقاق من الداخل قد يترك الناس بلا حماية اتجاه الأخطار الخارجية، إننا لا يمكن أن نكون جميعاً على فكر رجل واحد ولذلك فسيأخذ "الكفيل" القيادة في يده ببساطة وينطلق في المقدمة.

هناك ملاحظة واحدة ستكون إدارة العمل فعالة تماماً إذا كان المالك قد وافق عليها، كأنما قد نفذت أصلاً بواسطة سلطته.

والآن كيف يؤثر هذا كله على حالتنا.

إن الشعب اليهودي محروم حالياً بسبب وجوده في حالة الشتات من إدارة شؤونه السياسية بنفسه، إلى جانب ذلك فإن اليهود في حالةٍ من العسر الشديد قلّت أو كثرت في أجزاءٍ شتى من العالم

إنهم يحتاجون قبل كل شيءٍ إلى كفيلٍ، هذا الكفيل لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون فرداً واحداً فإن مثل هذا الفرد يمكن أن يجعل نفسه موضع سخرياتٍ وباعثاً على الاحتقار إذا بدى أنه يحقق مصالحه الخاصة.

إن كفيل اليهود ينبغي أن يكون هيئةً عامةً، تلك هي "جمعية اليهود"

كفيل اليهود

نتعرض هنا لأداة الحركة القومية من حيث طبيعتها ووظيفتها التي سنتعامل معها في النهاية على أنها في الحقيقة يجب أن تنشأ فقبل كل شيء تكوينها بالغ السهولة إنها سوف تتشكل على أيدي أولئك اليهود النشطين الذين أطلعتهم على مشروعي في لندن

" ألقى هرتزل خطابه في اجتماع نادي المكابيين في لندن نوفمبر 1885"

إن الإنجاز الذي حققه الكفيل القديم والعظيم في العصور البدائية بالنسبة لكفيلنا المعاصر يشبه النسبة بين اللحن الفردي المبدع إلى العمل الأورالي الحديث إننا نلعب نفس اللحن مع كثرة من الفيولين والفلوت والهارب والفيليتسل واللباس مع الإضاءة الكهربائية والديكورات والكورس والملابس الجميلة وافضل المغنيين في عصرهم.

وهكذا ستكشف الجمعية لأول مرة عما إذا كان اليهود حقيقةً يرغبون في الذهاب إلى أرض الميعاد، وعما إذا كان يجب عليهم أن يذهبوا.

وسترسل كل مجموعات العالم في اليهود إسهاماتها للجمعية من أجل الحصر الشامل لإحصاءات اليهود.

أما خارجياً فستحاول الجمعية الاعتراف باعتبارها سلطة لإنشاء دولة.

إن الموافقة المطلقة للكثرة اليهودية ستمنح الجمعية الصلاحيات اللازمة فيما يتصل بعلاقتها مع الحكومات أما داخلياً أعني علاقتها بالشعب اليهودي، فستخلق الجمعية كل المؤسسات التي لا يمكن الاستغناء عنها، وستنتج هذه المؤسسات النواة التي ستتطور منها المؤسسات العامة للدولة اليهودية فيما بعد.

لقد ذكرت من قبل أن أول أهدافنا هو السيادة التي يضمنها لنا القانون الدولي على قطعةٍ من الأرض ذات مساحة كبيرة كافية لتحقيق متطلباتنا العادلة.

فما هي الخطوة التالية؟

احتلال الأرض

قديماً عندما هامت أممٌ على وجهها في الزمن القديم كانوا يدعون الصدفة تحملهم وتجرجرهم، وتقذف بهم هنا وهناك، كأسراب الجراد يخطون في أي بقعة من الأرض كيفما اتفق ذلك وأنه في الزمن القديم كانت الأرض مجهولة بالنسبة للإنسان اما هذه الهجرة اليهودية فلا بد أن تجري وفق مبادئ علمية.

فعندما لا يزيد عن أربعين سنة كان البحث عن الذهب يجري بطريقة بالغة البدائية فكم كانت أيام كاليفورنيا مليئة بالمغامرات فخبر جلب المغامرين تباعاً من أنحاء الأرض فسطوا على قطع من الأرض وسرقوا الذهب بعضهم من بعض وفي النهاية ضيعوه على موائد القمار كما يفعل اللصوص بالعادة، واليوم كيف يجري البحث عن الذهب في الترانزفال؟

المغامرون والأفاكون ليسوا هناك، إنما الجيولجيون والمهندسون الموقرون وحدهم في الموقع لتنظيم صناعة الذهب، إنهم يستخدمون آلات متطورة في فصل الذهب الخام من الصخور المحيطة به، القليل جداً متروك للصدفة الآن.

وهكذا علينا أن نبحث وأن نمتلك الوطن اليهودي الجديد مستخدمين كل ذريعة حديثة، وحالما نضمن الأرض فسنرسل سفينة إلى هناك على ظهرها ممثلو كلاً من الجمعية والشركة والمجموعات المحلية الذين سيرحلون في ملكيتها على الفور.

هؤلاء الناس أمامهم ثلاث مهام:

1- البحث العلمي الدقيق لجميع الثروات الطبيعية للوطن

2- تنظيم إدارة مركزية صارمة

3- توزيع الأرض

كيف يتم احتلال الأرض بالنسبة للمجموعات المحلية؟

في أمريكيا كانت طريقة احتلال الأرض الجديدة المفتوحة طريقة بدائية، حيث يتجمع المستوطنون على الحدود وفي وقتٍ محددٍ يندفعون جميعاً في وقتٍ واحدٍ بعنف لاحتلال الجزء الذي يقدرون عليه.

إننا لن نتبع هذا الأسلوب في الأرض الجديدة لليهود.

فإن قطع الأراضي بالأقاليم والمدن ستباع بمزادٍ علني وسيرفع ثمنها عملاً وليس نقوداً.

وستكون الخطة العامة قد اكتملت فيما يتعلق بالطرق والكباري ومحطات تزويد المياه وغيرها مما هو ضروري للتجارة هذه كلها ستتحد في أقاليم وفي داخل هذه الأقاليم ستباع مواقع المدن أيضاً بالمزاد العلني بهذه الطريقة يمكن احتلال الأرض وإقامة الدولة، أسلوب لم يعرفه التاريخ حتى الآن، وبإمكانات نجاح لم يحدث مثلها من قبل.

الدستور

إن أحد المهام الكبرى التي يتعين على الجمعية إنجازها هو تعيين مجلس من رجال القانون في الدولة، هؤلاء عليهم أن يصوغوا أفضل دستور حديث ممكن,.

وأرى أن الدستور الجيد يجب أن يكون على درجة معقولة من المرونة وأرى أن أفضل أشكال الحكومات هي الملكية الديموقراطية والجمهورية الأرستقراطية هما أروع أشكال الدولة، ففيهما شكل الدولة ومبدأ الحكومة متعارضان ومن هنا يأتي التوازن الصحيح للقوة.

إنني مؤيد وفيّ للمؤسسات الملكية، لأنها تسمح باستمرارية السياسة وتمثل مصالح الأسر الشهيرة في التاريخ أولئك الذين ولدوا وتعلموا لكي يمارسوا الحكم ورغباتهم محكومة بالحفاظ على الدولة.

وتمر الآن في خاطري كثير من مؤسسات فينيسيا ولكن كل من تسبب منها في إنهيار فينيسيا يجب تجنبه بعناية، فسنتعلم من الأخطاء التاريخية للآخرين، كما نستفيد بنفس السلوب من أخطائنا فنحن أمة جديدة، ونود أن نكون أحدث أمم العالم، إن شعبنا الذي سيستلم الأرض الجديدة من الجمعية سيتقبل أيضاً بشكل الدستور الجديد الذي سنمنحه لهم فإذا برزت معارضة ما، فستخمدها الجمعية.

اللغة: قد يرى البعض أن حاجتنا إلى لغةٍ جاريةٍ مشتركةٍ يمثل صعوبة أننا لا نستطيع التخاطب بعضنا مع بعض باللغة العبرية فمن منا لديه معرفة كافية ليطلب تذكرة قطار باللغة العبرية مثل هذا الأمر لا يمكن حدوثه.

اللغة التي تثبت أنها أكثر نفعاً في العلاقات العامة سوف نتبناها بدون إكراه كلغة قومية.

سوف نحصر كهنتنا داخل حدود المعابد كما سنحصر بالمثل جيشنا داخل حدود معسكراته.

لسوف يتلقى جيشنا وكهنتنا منا كل احترامٍ رفيعٍ بقدر ما تستحقه وظيفتهما القيمة ولكنها لا يجب أن يتدخلا في إدارة شؤون الدولة التي تخلع عليها مكانة سامية وإلا فسوف يجلبان علينا صعوبات في الداخل والخارج.

كل إنسان سيكون حر دون منازعة بسبب العقيدة أو لقلة إيمانه أو لجنسيته، وإذا حدث وجاء أناس من عقائد مختلفة أو جنسيات أخرى ليعيشوا معنا فسوف نمنحهم حماية مشرفة ومساواة أمام القانون.

لقد تعلمنا التسامح في أوروبا.

القوانين: علينا أن نحاول إيجاد وحدة من هذه القوانين المختلفة لتأليف نظام تشريعي حديث.

الجيش: الدولة اليهودية منظور إليها باعتبارها دولة محايدة، من أجل ذلك يلزمها فقط جيش محترف مسلح بطبيعة الحال بكل متطلبات الحرب الحديثة للحفاظ على النظام في الداخل والخارج.

العلم: ليس لدينا علم ونحن في حاجة إلى ذلك فإن كنا نريد أن نقود عدد من الرجال فلا بد أن نرفع رمزاً فوق رؤوسهم وأنا اقترح علماً أبيضاً به سبعة نجوم ذهبية: الخلفية البيضاء ترمز إلى حياتنا الجديدة النقية، أما النجوم السبع فهي السبع ساعات الذهبية للعمل اليومي لأننا سوف نسير إلى الأرض الموعودة حاملين شارة الشرف.

الفصل السادس:

خاتمة: صحيح لأنهم لا يعرفون أين يذهبون، لأنهم يخرجون من مصيبة ليقعوا من مصيبة أخرى ولكننا سنريهم الطريق إلى أرض الميعاد وعلى القوة الرائعة للحماس أن تحارب القوة المسيطرة للعادة.

قد يقول أناس من جديد أن مشروعنا لا أمل فيه ، لأنه حتى لو حصلنا على الأرض مع السيادة عليها فإن الفقراء وحدهم هم الذين سيذهبون معنا؟ وهذا ما نريده بالضبط في البداية الأكثر فقراً فاليائسون هم الذين يتحولون إلى

غزاة مجيدين وقد يقول أحدهم أليس لو كان هذا ممكناً لكان حدث منذ زمنٍ طويل؟ إنه لم يكن ممكنا من قبل ولكنه الآن ممكناً فمنذ مئة بل خمسين سنة فقط لم يكن هذا شيئاً أكثر من حلم، اليوم يمكن أن يصبح واقعاً.

إن أغنياءنا الذين لديهم الألفة الممتعة بكل إنجازاتنا التكنولوجية يعلمون على وجه اليقين كيف يمكن للمال الوفير أن يُصنع.

وهكذا سيكون الفقراء والبسطاء فقط الذين لا يعرفون أي قدرة يمارسها الانسان في تطويع قوى الطبيعة هم الذين لديهم الإيمان القوي بالرسالة الجديدة لأن هؤلاء لم يفقدوا أبداً أملهم في أرض الميعاد.

فيا إخواننا اليهود هذه هي "أرض الميعاد" لا أسطورة هي ولا خدعة وكل إنسان يستطيع أن يختبر حقيقتها بنفسه لأن كل إنسان سيحمل معه قطعة من أرض الميعاد، بعضها في رأسه وبعضها بين ذراعيه وبعضها في ملكيته المكتسبة. والآن قد تبدو الأمور طويلة لا نهاية لها فحتى مع أفضل الظروف قد تمضي سنوات كثيرة قبل أن نبدأ في إقامة الدولة، وفي غضون ذلك سيعاني اليهود في ألف مكان ومكان من الآهات والإذلال وسوء المعاملة والضرب والنهب، والموت.

لكن لا، اننا إذا بدأنا فقط في تنفيذ الخطط فإن العداء للسامية سيتوقف فوراً وإلى الأبد.

إنه تمام السلام.

إن أخبار تشكيل شركتنا اليهودية سوف تُحمل في يومٍ واحد إلى أقصى مكان في الأرض، بسرعة الضوء خلال أسلاك التيلغراف وسيعقب هذا على الفور شعور بالارتياح.

أن متعلمينا من الطبقة الوسطى سوف يجدون لهم متنفساً في منظماتنا الأولى، باعتبارهم أوائل المهندسين والضباط والأساتذة والمحامين، والأطباء، وهكذا ستستمر الحركة في تقدمٍ سريعٍ ولكن ممهد وسيرتفع الدعاء من أجل نجاح عملنا بين جدران المعابد وكذا الكنائس حتى تأتي الراحة من العبء القديم الذي عانى منه الجميع.

لكن علينا أولاً أن نحرر عقول الرجال فلا بد أن تشق الفكرة طريقها إلى أبعد وأتعس الحجور التي يعيش فيها شعبنا.

أي مجدٍ ينتظر أولئك الذين يكافحون في سبيل هدف غير أناني، من أجل ذلك فإني أعتقد أن جيلاً رائعاً من اليهود سوف ينبثق إلى الوجود، سينهض (المكابيون) مرة أخرى ولأكرر مرة أخرى كلماتي الافتتاحية: "إن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم وسوف نحيا أخيراً رجالاً أحراراً على أرضنا، وسنموت بسلام في بيوتنا، وسوف يتحرر العالم بتحررنا ويغنى بثروتنا، ويعظم بعظمتنا.

وأياً ما حاولنا إحرازه "هناك" من أجل صالحنا، فسوف يرتد بقوة وفائدة لخير الإنسانية.